

الوافي في الوفيات

وكتب إليّ ونحن بالقاهرة :

أيا فاضلاً ساد الورى بفضائلٍ ... تناهت فما أضحى لهنَّ عديل .
تقمّمت ثوب العلم والحلم والندى ... فأنت صلاح للورى و خليل .
ولست خليلاً بل خليجاً لواردٍ ... غلظت فسامحني فنيلك نيل .
فكتبت أنا جوابه :

أيا ابن أبي الخوف الذي أمنت به ... طرائق نظمٍ واستبان دليل .
لقد فتّ غايات الأولى سبقوا إلى ... نهايات فضلٍ ما إليه سبيل .
فأنت على هذا الزمان كثير ... ورأيك في النظم البديع جميل .
؟؟؟؟؟ ابن الحاجبي المصري .

أحمد بن محمد شهاب الدين المعروف بالحاجبي . شاب جندي رأيتَه بالقاهرة في سوق الكتب
سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة وأنشدني من لفظه لنفسه :

أقول شبّه لنا جيد الرّشا ترفاً ... يا معمل الفكر في نظمٍ وإنشاء .
فطلّ يجهد أيا ما قريحته ... وشبّه الماء بعد الجهد بالماء .
وبلغني عنه مقاطيع رائقة وأبيات رائعة منها قوله :
مالوا بغير الراح أغصانا ... والتفتوا يا صاح غزلانا .
واحتملوا في الخصر لما مشوا ... في عقدات الرّمل كئيبانا .
غيد حلت أفنان أوصافهم ... هذا الذي وإفنانا .
في وجه كلّ منهم روضة ... حوت من الأزهار ألوانا .
يقول لي لين تثننّ عليهم ... ضلّ الذي بالرمح حاكنا .
هب سنّه يغزو كألحاطنا ... فهل رأيت الرّمح وسنانا .
أشكو إليهم تعباً من جفاً ... صيّرني في الليل سهرانا .
قالوا أترجوه راحةً في الهوى ... لم يزل العاشق تعباناً .
ولا تكن ذا طمع في الكرى ... إنّا فتحنا لك أجفانا .
ولما سمع قولي :

قالت لأيري وهو فيها ضائعٌ ... كالحبل وسط البئر إذ تلقيه .
قد عشت في كُوس كبير قلت ما ... كذبت لأنّ الكاف للتشبيه .
قال هو مختصراً :

ربّ صغيرٍ حين ولّفته ... أيقنت لا يدخل إلاّ اليسير .

ألفيته كالبئر في وسعه ... حتى عجبنا من صغيرٍ كبير .

وكذا لما سمع قلبي : .

يا طيب نشرٍ هبّ لي من أرضكم ... فأثار كامن لوعتي وتهتكى .

أدّى تحيتكم وأشبه لطفكم ... وحكى شذاكم إنّ ذا نشر ذكي .

قال هو : .

لا تبعثوا غير الصّبا بتحيةٍ ... ما طاب في سمعي حديث سواها .

حفظت أحاديث الهوى وتضوّعت ... نشرًا فيا ما أذكاه .

ومن نظمه : .

وصفت خصره الذي ... أخفاه ردف راجح .

قالوا وصف جبينه ... فقلت : ذاك واضح .

ومن نظم شهاب الدين أحمد ابن الحاجبي : .

لم أنس أيام الصّبا والهوى ... أيام النّجا والنّجاح .

ذاك زمان مرّ حلو الجنى ... طفرت فيه بحبيبٍ وراح .

ومنه : .

يميس على حقفٍ هو الردف عطفه ... فإّ مهتز بقدّ القنا يهزو .

رشاً عاجز من ردفه عن نهوضه ... فإن قام ذاك العطف أقعده العجز .

ومنه : .

يا ناصحاً أتعبه لوم ذي ... عقلٍ سليبٍ وفؤادٍ لسيب .

لا ذقت ما يشكوه من شادنٍ ... بعيد وصلٍ ورقيبٍ قريب .

ومنه : .

تقول وقد تجاذبنا للثمٍ ... ورحت لسلكها ونثرت حبّه .

أحبّلاً تدّعي وفرطت عقدي ... فقلت وذاك من فرط المحبه .

ومنه : .

قعدت أستاذ بنيل مصرٍ ... يوم وفاه وهو محمّر الصّفا .

فشلت منه رايةً قلت له ... ذي الراية البيضا عليه بالوفا .

ومنه : .

ولقد نثرت مدامعي ودمي معا ... يوم الرحيل وخاطري مكسور .

لا تعجبوا لتلوّنٍ في أدمعي ... لا غرو أن يتلوّن المنثور .

ومنه : .

ألا ربّ بستانٍ نزلت فناءه ... أنيساً وفيه دول يتدفّقٌ .
تفتّح فيه الذّور إذ باشر الندى ... وقد ضاع منه نشره وهو مغلق .
ومنه :